

## هكذا قال زرادشت

للفيلسوف اليوناني فيرديريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

## في الجزر الصغيرة

ها إن التين يتساقط عن أشجاره عطر النكهة حلو المذاق  
وقشوره الحمراء تنشق بسقوطها، وأنا هو ريح الشمال يهب على  
هذه الأثمار الناضجة . إن تعالني تتساقط إليكم أيها الصحاب  
كمثل هذه الأثمار فتذوقوها الآن عند ظهيرة من أيام الخريف  
وقد صفت فوقكم السماء .

سرّحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ثم  
مدوا بها إلى آفاق البحر البعيد فليس أجمل لمن فاض رزقه من  
أن يتطلع إلى الأبعاد

لقد كان الناس يتلفظون باسم الله عندما كانوا يسرّحون  
أبصارهم على شاسعات البحار ، أما الآن فقد تعلمت الهتاف  
باسم الانسان الكامل

إن الله افتراض وأنا أريد ألا يذهب بكم الافتراض إلى أبعد  
منما تفترض إرادتكم المبدعة .

أقستطيعون أن تخلقوا إلهاً ؟ إذن أقلعوا عن ذكر الآلهة  
جميعاً ، فليس لكم إلا إيجاد الانسان الكامل

ولعلكم لن تكونوا بنفسكم هذا الانسان الكامل ولكن  
في وسعكم أن تصبحوا آباء وأجداداً له . فليكن هذا التحول خير  
ما تعملون

إن الله افتراض وأنا أريد ألا يتجاوز بكم الافتراض حدود  
التصور، فهل تستطيعون أن تصوروا إلهاً ؟ فاعرفوا من هذا  
أن واجبكم هو طلب الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما يبلغه تصور  
الانسان وبصره وحسه ، فأمسكوا بتصوركم كيلا يتجاوز حدود  
حواسكم

يتحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من  
قبل فيكون عالمكم من تفكيركم وتصوركم وإرادتكم ومحبتكم

القصة الدامية التي تركها الشاعر الالهي الساحر — دى موسيه —  
مع جورج ساند وكيف عبثت بقلبه الرقيق لتتعلق بطبيب إيطالي  
لأنه لا يهمهم في الظلة ... ولا يحب الخمر ... مثل موسيه !

لقد يطول بي الحديث إذا أنا مررت بكل ما هنالك من  
شؤون وعبر . ولكنني مكثف الآن بإيراد ملحمة وجيزة عن غرام  
الشاعر المشهور — شارل بودلير — مع حبيبته المعبودة — جان  
ديفال — التي ألهمته أشجى أشعار الحب والجمال في كتابه الخالد  
«أزاهير الشر» وهذه الحبيبة التي عشقها طول حياته كانت سوداء !!  
وأعتقد أن الشعراء الساخرين ليضحكون من هيام الشاعر  
اللطيف بالمرأة سوداء . نعم قد يضحكون . . . ولكنه الغرام . . .  
الغرام القاهر الذي يستحوذ على القلب الضعيف فيقيده بالسلاسل  
ويغله بالأصقار

وعلى الرغم من شغف الشاعر ، ولهفة روحه ، وثابت وفائه ،  
فقد خدعته حبيبته الماكرة بعد أن نحت لها من غرامه تمثالاً  
ومن حبه محرّاباً للعبادة . ولكن هذا الخداع في الغرام ، وهذه  
الخيانة في الحب أغنيا الأدب الفرنسي لأنهما أفاضوا دموع الشاعر  
وأوقدا نار وجدده وحنينه !

\*\*\*

أنا لا أريد أن أشجب الحب ، وأن أهجر الغرام . كلا ما إلى  
هذا أذهب . . . بل أريد إثبات أنهما موجودان وحسب في كتب  
الشعراء وتماثيل الحفارين . والشاعر والحفار لا يصوران غالباً  
إلا كل ماسماً في فضاء الأحلام وما تمدد على سرير الشعور والاحساس  
الرجل الذي يعتقد خلود الغرام ووفاء الحب هو رجل  
مسكين يستحق الشفقة . . . إذ لا قبله يبقى طعامها على الشفاه ،  
ولا وعود تظل محفوظة ، ولا ذكرى تحيا في القلوب

وجل ما هنالك حب كاذب وغرام حادع شبيهان بالخطوط  
التي ترسمها الأمواج على رمال الشاطئ . فإذا لم تمحها العاصفة  
لا تلبث الأمواج أن تمحوها . فالحب الذي لا تبدده الحياة يبدد  
نفسه بنفسه ، والغرام الذي لا يعثره الموت يعثر ذاته بذاته

هما حلم يراود الروح في المنام ، ولكن اليقظة تشتته ولا تترك  
منه إلا أثراً دامياً يحفظ الذاكرة ، ويشقى الآمال

يوسف البعيني

(البرازيل)

وعندئذ تبلغون السعادة بامتنان تطلبون المعرفة . وكيف تطبقون الحياة إذا لم يكن لكم هذا الرجاء ؟

على من يطلب المعرفة ألا يتورط في ما يرده العقل من المعتميات

لسوف أفتح لكم قلبي فلا تخفي عنكم خافية فيه ، فأقول لكم : لو كان هنالك أرباب أكنتم أتحمّل ألا أكون رباً ؟ إذن ليس في السكون أرباب

لقد استخرجت لذاتي هذه النتيجة ، وها هي تستخرجني الآن إن الله افتراض ولكن من له بتحمل كل ما يضمّر هذا الافتراض من اضطراب دون أن يلاقى الفناء ؟ أتريدون أن تأخذوا من الخالق إيمانه ومن النسر تحليقه في أجواز الفضاء ؟

إن الله عبارة عن إيمان ينكسر به كل خط مستقيم ويميد عنده كل قائم ، فالزمان لدى المؤمن وهم ، وكل فان في عينيه بطل وخداع ، فهل مثل هذه الأفكار إلا أعاصير تتطاير فيها عظام البشر وتورث الدوار لشاهدها ؟ تلك افتراضات يدور المبلى بها على نفسه كالرحى حتى يموت

أفليس من الشر والافتيات على الانسانية كل هذه التعاليم تقيم الواحد المطلق الذي لا يناله تحول ولا تغيير ؟

إن الرموز وحدها لا تتغير ، وطالما كذب الشعراء ، غير أن خير ما يضرب من الأمثال ما يصور الحاضر وآتى الزمان فتأتى حجة لكل زائل لا نقضاً له

ليس في غير الابداع ما ينقذ من الأوجاع ويخفف أُنقال الحياة ، غير أن ولادة المبدع تستدعي تحولات كثيرة وتستلزم كثيراً من الآلام

أيها المبدعون ستكون حياتكم مليئة بمرير الميتات لتصبحوا مدافعين عن جميع ما يزول

على المبدع إذا شاء أن يكون هو بنفسه طفل الولادة الجديدة أن يتذرع بعزم المرأة التي تلد فيتحمل أوجاع مخاضها

لقد اخترقت لي طريقاً في ميتات النفوس والأسرة وأوجاع المخاض غير أنني كثيراً ما نكصت على أعقابى لأتقن أعرف ما تقطع الساعات الأخيرة من نياط القلوب .

ولكن ذلك ما تطمح إرادتي المبدعة اليه ، وبتعبير أشد صراحة ذلك هو المقصد الذي تريده إرادتي

إن جميع ما في من شعور يتالم مقيداً سجيناً وليس غير إرادتي من بشير يؤذن بالمسرة ، ويأتي بالافراج عن الشعور إن الارادة وحدها تحرر ، وما بغير هذه الآية من شرعة صحيحة للارادة وللحرية ، على هذا تقوم تعاليم زارا

بهدأ وسحقاً لكل وهن وملال يشل الارادة ويوقف كل تقدير وإبداع

إن طالب المعرفة يشعر بلذة الارادة والايجاد وبلذة استحالة الذات الى ماتمس به في أعماقها ، فإذا انطوى ضميري على الصفاء فاذلك الا لاستقرار ارادة الايجاد فيه . وهذه الارادة هي ما أهابني للابتعاد عن الله وعن الآلهة ، اذ لو كان هنالك آلهة لما بقي شيء يمكن خلقه .

إن طموح إرادتي الى الايجاد يدفعني أبدأ نحو الناس اندفاع المطرقة فوق الحجر

أيها الناس اتني الملح في الحجر تمثالاً كامناً هو مثال الأمثلة أفيجدر أن يبقى ثاوياً في أشد الصخور صلابة وقباً

إن مطرقتي تهوى بضرباتها القاسية على هذا السجن فأرى حجره يتناثر

أريد أن أكمل هذا التمثال ، إن طيفاً زارني وألطف الكائنات وأعماقها سكوتاً قد اقتربت مني

لقد تجلّى بهاء الانسان الكامل لعيني في هذا الخيال الطارق فمالي وللآلهة بعد : (١)

هكذا تكلم زارا .

#### الرمضاء

لقد بلغتني ، أيها الصحاب قول الناس : « أفما ترون زارا يمر بنا كما نه يمر بين قطع من الحيوانات ،

وكان أولى بهم أن يقولوا : إن من يطلب المعرفة يمر بالناس مروره بالحيوانات

إن طالب المعرفة يرى الانسان حيواناً له وجنتان حمراوان ولم يراه هكذا ؟ أفليس لأنه كثيراً ما علته حمرة الخجل ؟

(١) ونحن نقول بدورنا لنبشة متخفين قياساً من قباه : لو أمكن للانسان أن يخلق شيئاً لما كان هنالك إليه . وما أن الانسان بقعر عن إيجاد ذرة وخطرة فكر في طامى المادة والروح فالكانن الا ان لمفروض فرضاً على العاقل وكل قول يخالف هذا القول فزرة وجنون . . .

وصريح لأنه يعلن نفسه داه كما تعلن القروح ، في حين ان الفكرة الدينية تختفي كالنواحي الفطر وتظل منتشرة حتى تودي بالجسم كله ، ومع هذا فانتى أسر في أذن من تملكه الوسواس الخناس : وإن من الخير أن تدع الوسواس يتعاضم فيك لأن أمامك أنت أيضاً سيلاً يوصلك الى الاعتلاء .

كما يؤسف له أن يكون جهل بعض الشيء خيراً من إدراك كله ؛ غير أن من الناس من يشف حتى تبدو بواطنه ، ولكن ذلك لا يبرر طموحنا إلى استكناه مقاصده . ومن الصعب أن نميش مع الناس ما دمنا نستصعب السكوت إن ظلمنا لا ينزل بمن تنفر منه أذواقنا بل يسقط على من لا يعيننا أمره .

وبالرغم من هذا ، إذا كان لك صديق يتألم فكن ملجأً لآلامه ولكن لا تبسط له فراشاً وثيراً بل فراشاً خشناً كالذي يتوسده المحاربون وإلا فما أنت مجديه نفعاً

وإذا أساء اليك صديق فقل له : انتى اغتفر لك جنايتك على ولكن هل يسعنى أن أغفر لك ما جنيته على نفسك بما فعلت ؟ هكذا يتكلم عظيم الحب ، لأنه يتعالى حتى عن المغفرة والاشفاق علينا أن نكبح جماح قلوبنا كيلا نتجر عقولنا معها إلى الضلال . أين تجلى الجنون في الأرض بأشد بما تجلى بين المشفقين ؟ بل أى ضرر لحق بالناس أشد من الضرر الناشئ عن جنون الرحماء ؟ ويل لكل يحب ليس في محبته ربة لا يبلغها إشفائهم قال لى الشيطان يوماً : إن للرب جججها هو ججج محبته للناس وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيراً : لقد مات الآله وما أماته غير رحمة

احترسوا من الرحمة لأنها لن تلبث حتى تعقد فوق الانسان غماماً متلبداً : وما أنا بجاهل ما تنذر به الأيام احفظوا هذه الكلمة أيضاً : - إن المحبة العظمى تنعamy عن رحمتها فان لها هدفها الأسمى وهو خلق من تحب - إتنى أقف نفسى على حبي ، وكذلك يفعل أمثالى : هذا ما يقوله كل مبدع ، والمبدعون قساة القلوب . هكذا تكلم زارا ...

فلبكس فارس

هذا ما يقوله طالب المعرفة أيها الصحاب : - ان تاريخ الانسان عار في عار

ولذلك يفرض الرجل النبيل على نفسه ألا يلحق إهانة باحد لأنه يستحي جميع المتألمين

انتى والحق أكره الرُحماء الذين يطلبون الغبطة في رحمتهم ، فإذا ما قضى على بان أرحم تمنيت أن تجهل رحمتى والا أبذلها إلا عن كسب . أحب أن أستر وجهي حين اشفاقى وأن أسارع الى الحرب دون أن أعرف . فتمثلوا بي أيها الصحاب

ليت حظى يسوقى أبداً حيث ألتقى بأمثالكم رجال لا يتألمون وفي طاقهم ان يشاركونى آمالى وولائى ولذا نى

لقد قتت باعمال كثيرة في سبيل المتألمين ولكن كنت أرى أن الافضل من هذا زيادة معرفتى في تمتعى بسرورى . فان الانسان لم يسر الا قليلا منذ وجوده وما من خطيئة حقيقية الا هذه الخطيئة اذا نحن تعلمنا كيف نزيد في مسيرتنا فاننا نفقد معرفتنا بالإساة الى سوانا وباختراع ما يسبب الآلام

ذلك ما يدعوفى الى غسل يدي اذا أنا مددتها لتألم ، بل والى تطهير روحى أيضاً ، لأننى أخجل لحجله وتولنى مشاهدتى لآلامه ولأتى جرحى معزة نفسه بلا رحمة عندما مددت له يدي

ان عظيم الاحسان لا يولد الامتان بل يدعو الى اخماد الحق ، واذا تغلبتافة الاحسان على النسيان فانه يصبح دوداً ناهشاً لا تقبلوا شيئاً دون احتراس ، وحكموا تمييزكم عندما تأخذون . ذلك ما أشير به على من ليس لهم ما يذلونه للناس

أما أنا فمن يذلون العطاء وأحب أن أعطى الأصدقاء كصديق ؛ أما الأبعدون فليتقدموا من أنفسهم لاقتطاف الأثمار من دوحى فليس فى اقدامهم على الأخذ ما فى قبولهم العطاء من مهانة لكرامتهم غير أنه من اللازب أن يقطع دابر المتساوين لأن فى الجود عليهم من الكدر ما يوازى كدر اتهم وحرماتهم

وكذلك هو حال الخطاة وأهل الضمائر المضللة فان تبكيت الضمير يحفز الانسان الى النهش وإيقاع الأذى وشر من كل هذا الأفكار الحقيرة وخير للانسان أن يسى عملا من أن تستولى المسكنة على تفكيره

انكم تقولون : إن فى التفكير الملتوى كثيراً من الاقتصاد فى شر الاعمال ، وما يستحسن الاقتصاد فى مثل هذا ان لشر العمل أكلانا والتهاباً وطفحاً كالقروح ، فهو حر